الحسن و القبح بين مقصد القرآن و مقصد المتكلمين(المعتزلة و الأشاعرة)

أ. لطيفة بن سعيد

كلية أصول الدين قسم العقيدة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

ملخص المقال:

في ورقة البحث هذه سأحاول الإجابة عن التساؤل الذي طرحته حول الحُسن و القُبح بين مقصد القرآن و مقصد المتكلمين، عرفت بداية بمصطلحات الحسن و القبح و المقصد،ثم عرضت مسالة الحسن و القبح في القرآن الكريم من خلال استقصاء الآيات التي ورد فيها هذا الموضوع في مجالاته المختلفة؛ ما تعلق منها بالله تعالى و أفعاله، و ما تركز حول أفعال المكلفين؛ أقوال و أعمال و أخلاق و آداب، حث فيها على الحسن، و نهى عن القبيح منها، و الغاية المتوخاة من الأمر و النهي، ثم ثنيت بعرض مسائله عند المتكلين التي بحثوها في دراستهم لهذا الموضوع،و المنحى الذي سار فيه هؤلاء لتحقيق مقصدهم، لأختم البحث بخلاصة تجيب عن التساؤل المطروح في مقدمة هذا المقال.

The Summary

The present study aims at shedding light on how the notions of 'beauty and ugliness' are actually used in the Holy Koran, and how they are interpreted by '*mutakallimūn* . First, the key terms of beauty, ugliness and intention are defined. Then, the two concepts under consideration (i.e. beauty and ugliness) are presented through a minutiuous of the Koranic verses where they are mentioned. They are discussed in relation to Allah the Almighty and his actions, to people's deeds, to words, works, morals and ethics God urges to be nice and forbids to be ugly. Also, reference is made to the purposes lying behind such commandment and proscription. Furthermore, consistency with previous research is dealt with. As a conclusion at this article an answer to the problematic at the outset of this research work is provided.

مقدمة :

تعد الدراسات المقاصدية ذات أهمية بالغة في البحث العقدي، لما لها من دور كبير في ترسيخ القيم العقدية و توجيهها صوب تلك الغايات، لمباشرتها عمليا و تفعيلها في سلوك الإنسان باعتبار الإيمان هو تصديق بالجنان و عمل بالأركان.

و الحسن و القبح من القيم المعيارية الهامة التي تصنع سلوك الإنسان و تُقَوَّم على أسس منها أفعاله، باعتبار دورها التربوي الكبير في صياغة نوعية ذلك السلوك، و توجيه تلك الأفعال توجيها إيجابيا أو سلبيا،كما أنها تحدد نوعية المجتمع الذي تحكمه، باعتبارها تشكل ثقافته، و تصنع شبكة علاقاته، و تحدد مساره و أهدافه، و هو ما يفسر لنا الاهتمام الذي حضيته هاتين القيمتين سواء في القرآن الكريم من حيث مصدره الرباني وباعتباره كتاب هداية، من معينه تستخلص تلك القيم، أم اهتمام العلماء و الدارسين و خاصة المتكلمين و الأصوليين الذين تكاد لم تخل كتب واحد منهم من دراسة موضوع الحسن و القبح أو التحسين و التقبيح باعتباراته المختلفة.

لكن الذي بدا لي من استقصاء الآيات التي ورد فيها هذا الموضوع ، و قراءتي للطرح الذي طرح به المتكلمون ذلك الأخير، أن هنا مفارقة مقاصدية في المجالين، و هو ما ولَّد لدي تساؤلا حول مقصد كل من القرآن و المتكلمين في موضوع الحسن و القبح؟ أو بعابرة أخرى الحسن و القبح بين مقصد القرآن و مقصد المتكلمين، باعتبار أن جزئيات الموضوع التي عالجوها هي من صميم العقيدة، و كان القرآن هو مصدر تلك الرؤية ، فهل كان مقصدهم من تلك الدراسة هو ذاته مقصد القرآن الكريم؟ أم أنهم نحوا منحى آخر فكانت غايتهم غاية أخرى ولدتها دراستهم المبنية على أساس من ذلك المصدر الرباني؟ و ما مدى تأثير ذلك التوجه على الثمرات العلمية و العملية و السلوكية للفرد و المجتمع على حد سواء.

أولا : التعريف بالمصطلحات

1/ التعريف اللغوي:

تعريف الحسن: الحُسْنُ، بالضم: الجَمالُ وكل مبهج مَرْغُوب فِيهِ ، (ج) محَاسِن على غير قِيَاس ، الحسن ضد القبح و نقيضه، و حسَّنت الشيء: زينته، وَ أحسن الشَّيْء أَجَاد صنعه ،و حسن الشَّيْء جعله حسنا و زينه ورقاه وَأحسن حَالَته، و الأحسن: الأفضل[1].

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة(ح س ن) ،ص 877، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة ،ج1، ص1189، إبراهيم مصطفى و آخرون ، المعجم الوسيط،[دب]، دار الدعوة،ج 1، 174.

و الإِحْسانُ: ضِدُّ الإِساءَةِ، و الحسنى ضد السوءى، والْحَسَنَة ضد السَّيِّئَة من قَول أَو فعل، و الحسنة : وَالنعْمَة و الصدقة. و الحسنة سمة في الجلد تحسّن منظره[1].

أ- تعريف القبح: الْقبْح ضد الْحسن وَيكون فِي القَوْل وَ الْفِعْل، وَ الصُّورَة، قال الأزهري هو نقيض الحسن ،عام في كل شيء،وَ القبيح هُوَ مَا نفر مِنْهُ الذَّوْق السوي وَمَا كره الشَّرْع اقترافه وَمَا أَبَاهُ الْعرف الْعَام.

المقابح: مَا يستقبح من الْأَخْلَاق وَيسْتَعْمل جمعا للقبح على غير قِيَاس[2]

ب- تعريف المقصد: قال ابن جني: أصل (ق ص د) و مواقعها في كلام العرب الاعتزام و التَّوجُّه و النهود و النهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جور هذا أصله في الحقيقة ، و إن كان قد يخُص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل[3].

يقال قصد الطَّرِيق قصدا استقام ، وَله وَإِلَيْهِ توجه إِلَيْهِ عَامِدًا، و يُقَال هُوَ على الْقَصْد وعَلى قصد السَّبِيل إِذا كَانَ راشدا. الْمَقْصد مَوضِع الْقَصْد. و يُقَال إِلَيْهِ مقصدي وجهتي، و منه وأَقْصَدَ السَّهْمُ: أصابَ فَقَتَلَ مَكانَهُ[4].

2/ التعريف الاصطلاحي:

أ- تعريف الحسن و القبح: وردت عدة تعريفات للحسن و القبيح من حيث الاصطلاح

يعرفه القاضي عبد الجبار بـ: الحسن «هو فعل العالم بما يفعل، المميّز بينه و بين غيره، الذي ليس له ملجأ و له فعله، و هو ما كان لفاعله أن يفعله و لا يستحق عليه ذما»[5].

و أما القبيح: فـ«هو ما إذا فعله القادر عليه استحق الذم على بعض الوجوه»[6]

أما **الباقلاني من الأشاعرة فيعرفه بـــ**: « الحسن هو ما أمرنا [الله] بمدح فاعله، و تعظيمه و حسن الثناء عليه و العدول عن ذمه و انتقاصه .و القبيح هو مما أمرنا الله تعالى بذم فاعله و انتقاصه و سوء الثناء عليه به»[7] وهو تعريف إمام الحرمين الجويني أيضا[1]

---

[1]- نفسه

[2]- ابن منظور، المرجع السابق مادة (ق ب ح)، ص3508-3509، الفيروزآبادي، المرجع السابق، ص ، إبراهيم مصطفى و آخرون، المرجع السابق، ج2،ص710.

[3]- ابن منظور، المرجع السابق، مادة ق ص د، ص 3643.

[4]- ابن منظور المرجع السابق، ص 3642- 3644، الفيروزآبادي ، المرجع السابق ، ص 310، إبراهيم مصطفى و آخرون ، المرجع السابق ،ج2 ص 738،.

[5]- القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة، ط3، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، 1416هـ- 1996م، ، ص 326.

[6]- القاضي عبد الجبار، المصدر السابق ، ص41. و «و قوله بعض الوجوه احترازا من الصغيرة، فإنها قبيحة و مع ذلك فإنه لا يستحق الذم عليها» .

[7]- محمد بن الطيب الباقلاني، التقريب و الإرشاد الصغير، ط2، تح: عبد الحميد بن علي أبو زنيد، [دب]،مؤسسة الرسالة، 1418هـ - 1998م، ج1 ،ص280.

و يعرفه الرازي بـ: « الحسن ما لا يكون منهيا عنه شرعا. و القبيح هو المنهي عنه شرعا.»[2] و هو تعريف الإيجي[3]

و يربط الغزالي بين المستحسن و المحبوب و بين القبيح و المكروه و من ثم فهو يرى أن« المستحسن المحبوب هو ما تعلق به الرضا و المحبة و الأمر ، و لا يتعلق كل منها بالقبيح المكروه »[4]

و أما الشريف الجرجاني فقد عرف الحسن **بـ:** « هو عبارة عما اتصف بالحسن لمعنى في ذاته أو في غيره» و هو أيضا « هو كون الشيء ملائما للطبع، كالفرح، و كون الشيء صفة كمال كالعلم، و كون الشيء متعلق المدح، كالعبادات. **أما** القبيح: « فهو ما يكون متعلق الذم في العاجل والعقاب في الآجل»[5].

أما التهانوي فقد ركز في تعريف الحسن و القبيح على على ثلاث معاني أساسية هي: «**الأول:** كون الشيء ملائما للطبع و ضده القبح بمعنى كونه منافرا له. فما كان ملائما للطبع حسن كالحلو، و ما كان منافرا له قبح كالمر، و ما ليس شيئا منهما فليس بحسن ولا قبيح كأفعال الله تعالى...**الثاني:** كون الشيء صفة كمال و ضدّه القبح، و هو كونه صفة نقصان...**الثالث:** كون الشيء متعلق المدح و ضده القبح بمعنى كونه متعلق الذم فما تعلق به المدح يسمى حسنا، و ما تعلق به الذم يسمى قبيحا، و ما لا يتعلق به شيء منهما فهو خارج عنهما ، و هذا يشمل أفعال الله تعالى أيضا». [6]

و بالجملة فإن هذه التعريفات ركزت على الفعل من حيث اتصافه بصفات ذاتية تقتضي وصفه بالحسن أو بالقبح و هو تعريف القاضي عبد الجبار و الجرجاني، أو على تعلق الحسن و القبح بالأمر و النهي فما أمر به الشارع كان حسناو ما نهى عنه كان قبيحا، و النقطة الثالثة هي تعلقهما بالمدح و الذم، فالحسن هو ما تعلق به المدح و القبيح ما تعلق به الذم.

و قد علق التهانوي على هذه التعريفات في جملتها بقوله: « و بالجملة فمرجع الجميع إلى أمر واحد و هو أن القبيح ما تعلق به الذم ، و الحسن ليس كذلك، أو ما تعلق به المدح فتدبر و لا تكن ممّن

---

[1] – أبو المعالي الجويني، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة و أصول الاعتقاد، تح: محمد يوسف موسى و علي عبد المنعم عبد الحميد، مصر: مكتبة الخانجي، 1369هـ - 1950م، ص 258.

[2] – فخر الدين الرازي، المحصول في علم الأصول، [دط]، تح:: طه جابر العلواني،[دب]، مؤسسة الرسالة، ج1، ص108.

[3] – عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، [دط]، بيروت: عالم الكتب، [د م ن]، ص323.

[4] – أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ط1، تح: إنصاف رمضان، بيروت/لبنان: دار قتيبة،1423 هـ - 2003 م، ص90.

[5]– علي الجرجاني، كتاب التعريفات، ط1، تح: جماعة من العلماء، بيروت،دار الكتب العلمية، 1403هـ- 1983م، ص 172.

[6]- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون،ط1، تح: علي دحدوح، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 1996،ج1، ص 667.

يتوهم من اختلاف العبارات اختلاف المعبرات من أن المعاني للحسن و القبيح أزيد من الثلاثة»[1] و يقصد بها ملائما للطبع، و صفة الكمال و تعلق المدح أو الذم.[2]

ب–تعريف المقصد: لم يحظ مصطلح المقصد أو المقاصد عند العلماء القدامى بوضع حدّ له مباشر ، بل ورد التعبير عنه بمصطلحات أخرى تدل عليه منها[3]:

1/ المصلحة: فهذا الإمام الغزالي يعرف المقاصد بالمصلحة في قوله: «فهي عبارة عن جلب منفعة و دفع مضرة. و لسنا نعني به ذلك، فإن جلب المنفعة و دفع المضرة مقاصد الخلق، و صلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم. لكننا نعني بالمصلحة : المحافظة على مقصود الشرع .و مقصود الشرع من الخلق خمسة: و هو أن يحفظ عليهم دينهم، و نفسهم، و عقلهم، و نسلهم، و مالهم»[4]

2/ المعاني و الحكم و هو تعريف ابن عاشور:«هي المعاني و الحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة ، فيدخل في هذا أوصافها و غايتها العامة، و المعاني التي لا يخلوا التشريع عن ملاحظتها، و يدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الاحكام، و لكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها»[5]

3/و كذلك هي الأعمال و التصرفات:« هي الأعمال و التصرفات المقصودة لذاتها و التي تسعى النفس إلى تحصيلها، بمساع شتى أو تحمل على السعي إليها امتثالا».[6]

4/ وهي عند علال الفاسي **الغاية و الأسرار:**« المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها».[7]

5/ و عرفها الريسوني بأنها: « الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»[8]

إن الذي نلاحظه من هذه التعريفات أن معنى المقصد اصطلاحا لا يخرج عن معناه اللغوي إذ هو الغايات و الحكم و التصرفات التي يريد الشارع توجيه النظر نحوها في تشريعه للأحكام، والتي تتحقق من خلالها مصالحهم و منافعهم العاجلة و الآجلة.

ثانيا: الحسن و القبيح في القرآن الكريم:

---

[1]– محمد علي التهانوي، المرجع السابق،ج1، ص 667.

[2] – أنظر: التهانوي، المرجع نفسه، ج1، ص666 .

[3]– محمد سعد بن أحمد اليوبي، مقاضد الشريعة الإسلامية و صلتها بالأدلة الشرعية، ط1، السعودية، دار الهجرة، 1418هـ- 1998م، ص 33 و ما بعدها.

[4]– الغزالي ، المستصفى في علم أصول الفقه،تح: حمزة بن زهير حافظ،المدينة المنورة، شركة المدينة المنورة ،[دت]، ج2، ص481-482.

[5] – محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة، [دط]، تونس" الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص51.

[6]– ابن عاشور، المرجع نفسه، ص146.

[7]– علال الفاسي، مقاصد الشريعة و مكارمها، ط5، [دب]، دار الغرب الإسلامي، 1991، ص 7.

[8]– أحمد الريسوني ، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي،ط4، الأردن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ-1995م،ص19.

إن الناظر في القرآن الكريم لتقصي موضوع الحسن و القبح، يجد فيه ثراء ملحوظا خاصة في مادة الحسن حيث يربو استعمال هذه اللفظة فيه عن مائتين و خمسة (205) مرة، تتوزع على موضوعات مختلفة؛ منها ما تعلق بأفعال الله، و منها ما تعلق بأفعال المكلفين، أو تعلق بجمال الخلق عموما، بينما لفظة القبح أو القبيح لم ترد في القرآن باللفظ ذاته إلا في موضع واحد له علاقة بالجزاء الأخروي، في حين ورد ما يدل على القبح بألفاظ أخرى مثل السيء،و الشّر حيث أن الشّر هو السوء، و السيء في اللغة يعني القبيح[1].

أما أفعال الله عز وجل فهي موصوفة كلها بالحسن مصداق قوله تعالى:﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ السجدة7، فهو أحسن الخالقين على الإطلاق ﴿ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾الصافات 125، و أحسن المصورين ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ التغابن3، و أحسن المجزين ﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾الزمر35، و نزل لعباده أحسن الكتب ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ الزمر23، فيها أحسن القصص ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يوسف 3، و إحسانه أكمل إحسان و أنموذجه﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾القصص77،و حكمه أحسن حكم على الإطلاق ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا﴾المائدة 20، و دينه أحسن الأديان ظاهر حسنه كما تظهر الصبغة على المصبوغ ﴿صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً ﴾البقرة 138

فأفعاله تعالى كلها توصف بالكمال و الحسن، و هو يستحق الثناء و المدح عليها لقوله صلى الله عليه و سلم: «أهل الثناء و المجد»[2] و في رواية «له الفضل و النعمة و له الثناء الحسن»[3] .

أما ما تعلق منها **بأفعال المكلفين** فنجد الوصف بالحسن أو القبح؛ إما متعلق بالقول أو بالعمل، أو بالأخلاق و الآداب.

1/ الحسن في الأقوال :

أما ما تعلق بالقول ففيه تكليف من الله بالقول الحسن، و هذا التكليف لا يتعلق بالعبادات، بل جله يتعلق بالمعاملات بين الناس سواء كان في الدعوة إلى الله كقوله:﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل125 أو في مجادلة المشركين و إقامة الحجة عليهم ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت46، أو في سياق ترسيخ آداب و أخلاق تبادل الكلام بين الناس كقوله تعالى مثلا:﴿وَ قُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾،﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾،﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، و في هذه النماذج نجد دعوة القرآن إلى الحسن و الأحسن من الأقوال دعوة عامة لا تتقيد بأمر خاص أو عبادة خاصة، بل تشمل الأقوال جميعا التي يتبادلها الناس فيما بينهم،

---

[1]– لسان العرب، مادة (س وء) ، ص 2138، 2231

[2]– صحيح مسلم، ك: الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة و تخفيفها في تمام، ح رقم: 194، ج 1، ص 343.

[3]– صحيح مسلم، ك: المساجد، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة و بيان صفته، ح ر: 139، ج 1، ص 415.

و في هذا التوجه تربية على أنموذج مثالي من الأقوال التي يجب أن ترقى بالمجتمع الإنساني، أو لنقل بالعلاقات الإنسانية إلى مصاف الإنسانية الراقية التي يريدها الله لعباده، و لذلك هو يريد أن تتصف أقوالهم بالحسن و الجمال الذي يدخل السرور و السعادة على القلوب، يقول ابن عاشور في الآية﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾:« و جعل الاحسان لسائر الناس بالقول لأنه القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به و ذلك أن أصل القول أن يكون عن اعتقاد، فهم إذا قالوا للناس حسنا أضمروا لهم الخير و ذلك أصل حسن المعاملة مع الخلق»[1]

و يعضد هذا المعنى و يؤكد عليه قول الله عز وجل:﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ حيث جمع في هذه الآية بين الأمر الذي يفيد الوجوب، و بين قوله عبادي الذي فيه رفعة و تشريف للمخاطب ، و بين المأمور به الذي هو القول الحسن، فكأنه يريد أن من انتسب إلى صاحب الأسماء الحسنى و الصفات العليا بالعبودية فعليه أن يتصف بصفاته، و يرتقي إلى عليائه فلا يقول إلا حسنا، و ليتجنب فاحش الكلام و السيئ من القول، لأنه يتنافى مع وصف العبودية لله عز و جل، و هذا الأمر يعمم على كل قول، و خاصة عندما يتعلق الأمر بدعوة أهل الكتاب، أو سواهم من غير المؤمنين إلى الله عز وجل، يقول الرازي معقبا على الآية:«و هو ألا يكون ذكر الحجة مخلوطا بالشتم و السب، و نظير هذه الآية ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل125، و قوله:﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت 46، و ذلك لأن ذكر الحجة لو خالطه شيء من السب و الشتم، لقابلوكم بمثله كما قال تعالى:﴿ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ و يزداد الغضب و تتكامل النفرة و يمتنع المقصود. أما إذا وقع الاقتصار على ذكر الحجة بالطريق الأحسن الخالي من الشتم و الإيذاء أثَّر في القلب تأثيرا شديدا فهذا هو المراد من قوله (و قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)»[2] لأن الله لا يريد إكراه أحد على الإيمان به، فهو مستغن عنهم، بل يريد من المقبلين عليه أن يقبلوا بقلوبهم و عقولهم و وجدانهم، أن يقبلوا عليه بكليتهم لأنه يريد أن يكرمهم، و ينفعهم، و يرفعهم و هذا يتنافى تحققه بالإكراه و السب و الشتم.

و يلخص لنا ابن باديس رحمه الله ميزة اللسان بأنه فيه تتلخص حكمة الله في خلق البشر و تعارفهم و معاشرهم لبعضهم البعض و تكاتفهم في أداء مهمهم ووظائفهم في هذا الوجود، جاء بذلك في عبارة موجزة و بليغة تدلنا على قيمة الدعوة إلى القول الحسن في القرآن الكريم و أن الغاية منه هي صناعة الإنسان المتخلق، و أن تلك الأخلاق و ذلك الكمال لا يدرك إلا من خلال أفعال الناس و أقوالهم خاصة، يقول فيها أن « اللسان أداة البيان، و ترجمان القلب و الوجدان. و الكلام به يتعارف الناس و يتقاربون، و به يتحاجون و يتفاضلون، و لولاه لما ظهرت ثمرات العقول و المدارك، و لما تلاحقت الأفكار

[1]- ابن عاشور، التحرير و التنوير،[دط]،تونس، الدار التونسية للنشر،1984م،ج1، 583.

[2]– فخر الدين الرازي، التفسير الكبيرأو مفاتيح الغيب،ط3، بيروت،دار إحياء التراث العربي،1420هـ، ج 20، ص219.

و المشاعر، و لما تزايدت العلوم و المعارف، و لما ترّقى الإنسان في درجات أنواع الكمالات، و لما امتاز على بقية الحيوانات. **فهو رابطة** أفراد النوع الإنساني و عشائره و أممه. **و بريد** عقله و **واسطة** تفاهمه. **فإذا حسن** قويت روابط الإلفة، و تمكنت أسباب المحبة، و امتد رواق السلام بين الأفراد و العشائر و الأمم. و تقاربت العقول و القلوب بالتفاهم، و تشابكت الأيدي في التعاون و التآزر. و يعني العالم من وراء»[1]

و يزيد هذا التوجه من القرآن توكيدا على ضرورة مقابلة الناس بالقول الحسن في الدعوة و المعاملة و الخصومة قوله تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران 159

و لما كانت الغلظة و القسوة تقتضي النفرة، فكذلك الكلمة السيئة البذيئة تقتضي النفرة، و تولد البغضاء بين المتخاصمين و تجعل في القلب شرخا يعسر لمُّه، لذلك يبغضها الله جلت حكمته و يخبر عنها في محكم تنزيله ﴿ لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ النساء 148، حتى ينبه إلى خطره، و« يحث المؤمنين على الأحب لديه و الأفضل و هو العفو عند المقدرة لأنّه أدخل في الكرم و الخضوع و العبودية لله، كما أن له بابا في الخير وسيطا» كما قال صاحب الكشاف[2] .

إذن فالغلظة تقتضي النفرة، و هذه الأخيرة تجعل من منافذ الإدراك موصدة دون نور المعرفة، بينما الله يريد من التكاليف أن تجد عقولا واعية و قلوبا متذوقة لحسنها حتى تفَّتح لها العقول و تهش لها الأنفس، و هو ما تثمره الحكمة و الموعظة الحسنة، و هو مقصد الحق تبارك و تعالى من الدعوة إلى القول الحسن المتكرر في القرآن الكريم.

2- الآداب العامة و الأخلاق:

أ/الآداب العامة: و تتعدد المواضع التي يمكننا استجلاء مقصد الحسن في القرآن، ففي موضوع آخر و هو التحية حيث يقول الله تبارك و تعالى:﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ **فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا** أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ النساء 86، لما كان اجتماع الناس للعيش بعضهم مع بعض ضرورة إنسانية ،كان لا بد من إنشاء علاقات اجتماعية متشابكة تتوثق بها روابط الاجتماع الانساني، و تيسر بها عجلة الحياة ، لذلك جعل أحد أهم وسائل هذا التعايش و التشابك و التوادد هو التحية و الرد بأحسن منها، إذ قيمتها تكمن في أنها تحمل أول مؤشر إيجابي لبداية أية علاقة جيدة بين المتعارفين؛ فهي تمهيد

[1]- عبد الحميد ابن باديس: ، مجالس التذكير، ط2، جمع: محمد الصالح رمضان و توفيق محمد شاهين، تعليق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ- 2003 م، ص 150.

[2]- محمود بن عمرو الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ،ج1، 582

للسلام، و بداية للتعارف و مفتاح للأنس و الحب و الخير و توثيق للصلة بين أفراد المجتمع[1] و ذلك مصداقا لقوله صلى الله عليه و سلم « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»[2] . و في حديث آخر «سئل النبي صلى الله عليه و سلم، أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام و تقرأ السلام على من عرفت و من لم تعرف»[3]، يقول ابن عربي:« فإنها كلمة إذا صدرت أخلصت القلوب الواعية لها عن النفرة إلى الإقبال عليها»[4]

و بذلك يتبين مقصد الدعوة إلى التحية بأحسن ما تكون لما في ذلك من إحاطة العلاقات الاجتماعية بكل ما من شأنه أن يقوي دعائمها و يوثق صلاتها و يزين نسيجها، و يَسِمُها بميسم العلاقات الإنسانية الراقية.

ب/ الأخلاق: و من أهم الأمثلة على مقصد الحسن في القرآن الكريم دعوته إلى الأخلاق الحسنة، و لما كانت الأخلاق ترتبط بالسلوك الانساني وجودا و عدما، إذ لا يمكن تصور وجودها بمعزل عن أفعال الإنسان[5]، فكلّما ذكر فعل من أفعال الإنسان و حث فيه القرآن على الإحسان فهو مرافق للحث على الأخلاق الحسنة، كما تقدم في الآيات السابقة في القول و التحية و اللين و عدم الغلظة في المعاملة، و النهي عن الجهر بالسوء و المجادلة، و الدعوة إلى الله، و دفع السيئة بالتي هي أحسن...و كثير من الآيات الأخر التي تربط الحسن بالأخلاق في سلوك الإنسان.الخ

لكنني في هذه النقطة أريد الإشارة إلى آية عامة أخالها تلخص لنا مقصد القرآن في الحث على الأخلاق الحسنة و هي قوله:﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فعَنْ قَتَادَةَ رضي الله عنه قال: «لَيْسَ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُعْمَلُ وَيُسْتَحَبُّ إِلَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَلَيْسَ مِنْ خلق سيء إِلَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.» ذلك أنه جاء فيها «بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات، واطمئنان الأفراد والأمم و الشعوب، والثقة بالمعاملات والوعود و العهود: جاء «بِالْعَدْلِ» الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب، والغنى و الفقر، والقوة والضعف. إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع .وإلى جوار العدل..«الْإِحْسانِ»..يلطف من حِدّة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط17، بيروت/القاهرة، دار الشروق، 1412هـ،ج2، ص 725- 726.

[2] – صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها ج1،ص 54، 74

[3]– صحيح البخاري ،كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ج5، ص2302 .

[4] – أبو بكر بن العربي، عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، [دط]، بيروت: دار الكتب العلمية، ج10، ص163.

[5]– طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2000، ص 53-54.

مفتوحاً لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثاراً لود القلوب، وشفاء لغل الصدور. ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحاً أو يكسب فضلاً.»[1]

هكذا بدا أن للحسن من خلال هذه الآيات مقصدا خاصا يهدف إلى تزكية الفرد و تزكية المجتمع من خلال تأهيل الفرد بكل المؤهلات و المبادئ التي تمكنه من الحياة داخل الجماعة، تلك الحياة التي لا تطيب و لا تعرف الاستقرار إلا في ظل المباديء السامية التي أقرتها الشريعة السمحة و التي من أهمها مبدأ التحسين و التقبيح .

3– **العمل**: هو المجال الثالث الذي تعلق به الوصف بالحسن و القبح في القرآن، من حيث تعلقه بسلوك الإنسان العملي؛ أي بكل ما يمارسه من عمل، و نشاط حركته التعميرية في هذه الحياة، إذ ابتلى الله بها عباده ليختبر قدرتهم على انجاز أحسن و أفضل ما يمكن أن يأتوا من أعمالهم، و من جملة الآيات التي يتجلى من خلالها هذا المقصد قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾هود7،و قوله:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾الكهف7، و قوله أيضا:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾الكهف 30، ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الزمر35.

يقول صاحب الكشاف:« فإن قلت كيف قيل: أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن، فأمّا أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح ؟ قلت : الذين هم أحسن عملا هم المتقون، وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله من عباده، فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفاً لهم وتنبيهاً على مكانهم منه، وليكون ذلك لطفاً للسامعين، وترغيباً في حيازة فضلهم.»[2] فصاحب الكشاف يفسر الابتلاء الوارد في الآية بأنه غرض الله من عباده؛ أي مقصد الابتلاء في الآية هو اختبار من الله لعباده الذين خلقهم و جعل من أهم وظائف على هذه الأرض هو عمارتها و الخلافة فيها لينظر إلى الكيفية التي ستكون عليها أعمالهم، و قد ربط بين التقوى و اتقان العمل و إحسانه، ذلك أن تقوى الله تبعث في المؤمن الرغبة في تجويد عمله و تحسينه بقدر الطاقة حتى

---

[1] – سيد قطب، المرجع السابق، ج9، 2190. و لذلك جعل مالك بن نبي الإحسان أو كما يسميه (ذوق الجمال) الأساس الثاني الذي تقوم عليه الثقافة ذلك أنه "إذا كان المبدأ الأخلاقي يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع و الغايات، فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته...و من هذه الناحية يعتبر ذوق الجمال من أهم العناصر الديناميكية في الثقافة لأنه يحرك الهمم إلى ما هو أبعد من مجرد المصلحة. و هو في الوقت نفسه يحقق شرطا من أهم شروط الفعالية، حيث يضيف إلى الواقع الأخلاقي عند الفرد دوافع إيجابية أخرى من شأنها أحيانا أن تعدل من بعض الدوافع السلبية التي ربما يخلقها المبدأ الأخلاقي الجاف في سلوك الفرد حينما يصطدم هذا السلوك الصادر عن مبدأ أخلاقي مجرد مع الحساسية الإنسانية و الذوق العام".

[2]–الزمخشري، المرجع السابق،ج2، ص380

يليق بمن هو مطلع عليه و مختبر عبده فيه، و يحقق الغاية و المقصد من خلق الإنسان و هو تعمير الأرض و ترقية المعاش عليها من جهة، و من جهة ثانية ليميز الله الفاضل بين المكلفين الذين يرتقون بأفعالهم مرتقا يحاكون فيها فعل الباري عز وجل الذي أحسن كل شيء خلقه، و هو ما نبه إليه البيضاوي بقوله: « لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا متعلق بخَلَقَ أي خلق ذلك كخلق من خلق **ليعاملكم** معاملة المبتلي لأحوالكم **كيف** تعملون،...و إنما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على أحاسن المحاسن، والتحضيض على الترقي دائماً في مراتب العلم و العمل »[1].

و لأجل تحقيق هذا المقصد أي الوصول بالمكلفين إلى الالتزام، فقد ربط الفعل الحسن الذي يقصد القرآن التوجيه إليه و نبذ القبح منه، بدافع كبير لهما، و هو حب الله تعالى للمحسنين، و للعمل الحسن، هذه الرابطة الروحية من شأنها أن تغذي باعث الفعل حتى لا يبقى منه إلا الإخلاص في التوجه نحو الهدف الأسمى المنشود لما فيه من رفعة الفعل قولا كان أو سلوكا أو عملا.

و يبدو جليا في موضعين اثنين **أحدهما** في الدعوة إلى الفعل، و هو قوله تعالى: ﴿ ...وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة 195 و الثاني في الدعوة إلى الترك في قوله تعالى:﴿ لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ النساء 148، فاجتماع الأمر مع حب الله تعالى للأفعال الحسنة،و عدم حبه للقبيح منها،ثم يختم الآية بفاصلة جليلة و هي حبه للمحسنين تنبيها على فضلهم و شرف مقامهم و منزلتهم عند الله عز وجل[2]، يجعلنا نخلص إلى نتيجة مقاصدية هامة و هي أن الدافع إلى الفعل الحسن و نبذ الفعل القبيح لمّا يكون هو حب الله للمحسنين، فسوف يعمل المكلف على تحري الاحسان في كل شؤونه ، سواء كان الأمر في الفعل من الله أو لم يكن، لأن غاية المكلف حينها هي الوصول إلى نيل رضا الله و الفوز بمحبته عز وجل، مما يقتضي منه تحديد منهج في الحياة يحقق له هذه الغاية السامية؛ هذا المنهج الذي رسم الحق تبارك وتعالى معالمه الكبرى و هي "أحسن كما أحسن الله إليك" و "إن الله يحب المحسنين" و " لا يحب الله الجهر بالسوء "، و ذلك في اتجاهين رئيسيين: أحدهما يتوجه إلى العلاقات العامة أسرية، اجتماعية، و دينية. و الثاني يوجه نحو العمل أي حركته في الأرض لتعميرها و الاستخلاف فيها.

و لذلك لم يقتصر على ذكره في معاملة المؤمنين لبعضهم البعض بل جعله (الحسن) قيمة إنسانية لأن محبة الله ارتبطت به، تحفيزا على العمل النوعي المتميز بشكل عام، في كل نشاط يقوم به الإنسان و في أي أرض يكون فيها و مع أي قوم كان فيهم، جعل باعثه هو التودد إلى الله به و التقرب إلى الجميل

---

[1]- ناصر الدين عبد الله البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ط1، ت: محمدعبد الرحمان المرعشلي،بيروت:دار إحياء التراث، 1418هـ ،ج3، ص128.

[2]- أنظر: أبو القاسم الحسين بن محمد ، تفسير الراغب الأصفهاني،تح: محمد عبد العزيز بسيوني،ط1، مصر:كلية الآداب جامعة طنطا، 1420هـ- 1999م، ج1، ص411.

الذي يحب الجمال بمثله، و لا يخفى ما في هذا المقصد من تحقيق كمال العمل البشري الذي به يحقق تعمير الأرض بالخيرات، و تعميرها بكلمة الله التي تذكر عند كل جميل يقع عليه البصر أو يدركه العقل أو يتذوقه الوجدان. و قد علق الشيخ الشعراوي على هذه الآية بقوله: « والحب...بالنسبة للحق هو تودد الخالق بالرحمة والكرامة على المخلوق، والحق سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يكونوا على خُلقه، فكما أن الله أحسن كل شيء خلقه (الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) يريد من عباده وقد تفضل عليهم بالعقل المفكر فيخطط، وبالطاقات فتبرز التفكير إلى عمل يريد الحق منا أن يكون رائدنا في كل عمل أن نحسنه، حتى نكون متخلقين بأخلاق الله، فتشيع كلمة «الله» هذا اللفظ الكريم الذي يستقبل به الإنسان كل جميل في أي صنعة فيقول: «الله» »[1].

و هذا المعنى هو الذي تلخص في قوله صلى الله عليه وسلم:«الإحسان:أن تعبد الله كأنك تراه ...»[2] فسمى هذا المقام العالي الذي يسمو إليه الانسان بالاحسان، و معلوم أن الاحسان هو الذي يرتقي فيه الانسان من مقام العدل إلى مقام الفضل، و إذا كان العدل ذاته حسنا فكيف بالفضل، و لذلك تعلق به حب الله تعالى.

إن هذه المعاني التي تضمنتها الآيات الدالة على الحسن في القول و السلوك و العمل و الخلق و نبذ السيئ منه مقصود بها تربية للفرد و المجتمع على منهج حياة تتميز به الجماعة المسلمة عن غيرها من الجماعات الأخرى و هذه الثمرة هي من صميم الإيمان و الاعتقاد الذي يكتسبه الفرد المسلم و يجعله منهجا له في الحياة في سلمه و حربه، مع بني جلدته أو مع عدوه، منهجا واحدا مصدره الله الذي خلق و شرع، و الذي إليه يؤول الأمر كله.

ثالثا: الحسن و القبيح عند المتكلمين (المعتزلة و الأشاعرة)

لقد أسالت قضية الحسن و القبح حبرَ كثيرٍ من العلماء، سواء في علم الكلام أو في علم أصول الفقه خاصة، و هو ما ينبئ عن الأهمية التي أولاها هؤلاء العلماء لهذه المسألة باعتبارها أصلا لقضايا كثيرة و فرعا لكثير من المسائل الأخرى، و هو ما جاء منصوصا عليه في أقوال كثير منهم ، مثل قول التفتزاني: «هذه المسألة من أمّهات مسائل الأصول، و مهمات مباحث المعقول[يقصد علم الكلام] و المنقول»[3] ، و هو ما جعل ابن تيمية يحث على ضرورة معرفة مثل هذه المسائل بقوله:« و ينبغي للعاقل أن يعرف مثل هذه المسائل التي هي من أعظم مسائل الدين من لم يعرف ما قالوه فهو الجاهل بالحق فيها، و بأقوال

[1] – محمد متولي الشعراوي، الخواطر(تفسير الشعراوي)،[دط]، [دب]، مطابع أخبار اليوم، 1997م، ج2، ص835.

[2] – صحيح مسلم،

[3] – سعد الدين التفتزاني ، شرح التلويح على التوضيح، [دط]، مصر، مكتبة صبيح، [دت] ج 1،ص 330-331.

السلف، و بما دل عليه الكتاب و السنة»[1]، و هو ما يؤكد عليه تلميذه ابن القيم بقوله: « ...و لا تغضض طرف بصيرتك عن هذه المسألة، فإن شأنها عظيم و خطبها جسيم.»[2]

إن النظر في موضوع الحسن و القبح عند المتكلمين –و نقصد بهم المعتزلة و الأشاعرة بصفة خاصة– من جهة المقصد الذي يتوخون الوصول إليه منها يجعلنا نتتبع الطرح الذي عرضوا من خلاله هذه المسألة ؛هل هو مقصد تربوي تزكوي كما تجلى لنا في القرآن الكريم؟ أم أن هذه الدراسة أخذت منحى آخر أثمرته جهود المتكلمين في بحث هذه القضية؟

يمكننا أن نحدد المباحث التي أفرزتها دراسة الحسن و القبح عند المتكلمين من خلال النصوص الآتية: يقول سعد الدين التفتزاني:« و قد جُعلت هذه المسألة من المسائل الكلامية من جهة البحث عن أفعال الباري تعالى هل هي تتّصف بالحسن، و هل تدخل القبائح تحت إرادته و مشيئته، و هل تكون بخلقه و مشيئته»[3]

كما اعتبرها الجزري من مسائل أصول الدين باعتبار :« الكلام في تقرير ذلك مذكور في أصول الدين حيث يتكلم في أفعاله تعالى، و خلقه لأفعال العباد، و تعليل فعله بالأغراض، و تبع ذلك تحسين العقل و تقبيحه» [4]

و أيضا من جهة كونها«...مبنية على مسألة الجبر و القدر الذي زلت في بواديها أقدام الرَّاسخين، و ضلَّت في مباديها أفهام المتفكرين، و غرقت في بحارها عقول المتحيّرين» [5]

كما كان لمسألة المدح و الثواب و الذم و العقاب دور جوهري فيها، حيث كانت محل نزاع بين المعتزلة و الأشاعرة و هو قرره الإيجي في المعنى الثالث بقوله: « تعلق المدح و الثواب، أو الذم و العقاب، وهذا هو محل النزاع فهو عندنا شرعي و عند المعتزلة عقلي»[6]

---

[1]– ابن تيمية، مجموع الفتاوى،جمع عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، [دط]، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد،1425هـ–2004م، ج17، ص114.

[2]– ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط1، السعودية،دار عفان، 1416هـ،1996م،ج2، ص 298.

[3] – التفتزاني، المرجع السابق، ج1، ص 330.

[4] – شمس الدين بن يوسف الجزري، معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، ط1، تح: شعبان محمد إسماعيل، القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية،1413هـ/1993م، ص112.

[5]– التفتزاني، المرجع السابق،ج1 ،ص332.

[6]– عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، [دط]، بيروت: عالم الكتب، [د م ن]، ص323.

من خلال المواضيع التي لخصها العلماء كما عرضتها سابقا يمكننا أن نكشف عن تلك الغاية التي توجهت إليها أنظار الباحثين و قد انقسمت إلى قسمين؛ **أحدهما** متعلق بالله تعالى، و الثاني متعلق بالعباد.

أولا :أما ما تعلق بالله تعالى فقد تناولوا بالبحث:

– أفعال الله من حيث تتصف بالحسن: لم يختلف أحد من المذهبين في أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، و أن الله تعالى لا يفعل قبيحا، و لا يخل بما هو واجب عليه ،و اختلفوا بعد ذلك في تعليل هذا الرأي؛ فالمعتزلة استدلوا على ذلك بأنه لو فعل القبيح لكان يجب أن يكون جاهلا و محتاجا، و الجهل و الحاجة لا تجوز عليه تعالى، و لما كان الله تعالى فاعلا للحسن و عالما به، فإنه إما أن يفعله لاحتياجه إليه و ذلك مستحيل عليه، أو يفعله لحسنه أو كونه إحسانا.[1]

وقد وافقهم الأشاعرة في كون أفعاله كلها حسنة، و لكن دليلهم على ذلك الشرع لا العقل، فقد ورد الشرع بالثناء عليه في أفعاله فكانت حسنة لكونها متعلق المدح و الثناء من الله تعالى[2].

– و التساؤل الثاني الذي تفرع عن القول بالحسن و القبح، و الذي ورد عليه الاختلاف، هو هل تدخل القبائح تحت إرادة الله و مشيئته أو لا ؟ فذهب المعتزلة بناء على قولهم أن أفعال الله كلها حسنة، أنه لا يجوز أن يكون الله مريدا للقبائح و المعاصي ، فإن الإرادة فعل من الافعال، و متى تعلقت بالقبيح فتجب لا محالة، و كونه تعالى عدلا يقتضي أن تنفى عنه هذه الإرادة.[3]

و كذلك دليلهم عليه أن الله تعالى عالم بقبح القبيح و مستغن عنه، عالم باستغنائه عنه، و من كان هذه حاله لا يختار القبيح بوجه من الوجوه.[4]

أما الاشاعرة فقالوا أن الباري لا يفعل القبيح، و لا يترك واجبا لأنه لا قبح منه و لا واجب عليه لكون ذلك بالشرع، و لا يتصور في فعله.[5]

و تبعا لذلك نفى المعتزلة أن يكون خالقا للقبائح أو مريدا لها يقول القاضي عبد الجبار:«إن نفي القبيح عن الله تعالى فعلا إنما يصحُ بعد أن يكون قادرا عليه »[6] أي أنه غير خالق للقبائح و إن كان قادرا عليها، و « أنه تعالى لا يريد القبائح و لا يشاؤها، بل يكرهها و يسخطها»، [و استدلوا] على ذلك بالنهي عن القبيح و الزجر عنه و التوعد عليه بالعقاب الاليم، و الأمر بخلافه و الوعد عليه بالثواب

---

[1]– أنظر: القاضي عبد الجبار ، المرجع السابق، ص 132، 307، 317.

[2]– أنظر، التفتزاني ، شرح المقاصد، ج4، ص294.

[3]– القاضي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 431.

[4]– القاضي عبد الجبار ، المرجع نفسه ، ص 303.

[5]– التفتزاني، شرح المقاصد، ج 4، ص294.

[6]– القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف، جمع، أبي الحسن بن أحمد النجراني ، [دط]، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، [دت]، ج1،ص 246.

العظيم.[1] وهم في قولهم هذا متوافقون مع مذهبهم الذي ينسب أفعال العباد إليهم ايجادا لها من جهتهم ، و من ثم فهم يستحقون عليها المدح و الذم و الثواب و العقاب.

وكذلك وافق الأشاعرة مذهبهم بأن الله خالق كل شيء، و لا خالق سواه، و بالتالي فالقبائح و المعاصي لا خالق لها غيره و هو ما نص عليه التفتزاني بقوله:« لا قبيح من الله تعالى و إن كان هو خالق للكل، و لا واجب عليه و إن حسن أفعاله بحكم الشرع.»،فـ: « الكفر و الظلم و المعاصي كلها قبائح و قد خلقها الله تعالى...إلا أن خلق القبيح ليس بقبيح، فهو موجد القبائح لا فاعل لها. »[2]

– و المسألة الأخرى التي كانت محل خلاف و جدل كبير بينهما فيما تعلق بأفعال الله و هي: هل أفعاله تعالى متعلقة بالأغراض و الحكم أم لا؟ لقد كان إثبات الكمال لله تعالى و تنزيهه عن كل نقص هو الأساس الذي أثبت لأجله المعتزلة لله الغرض و الحكمة في أفعاله عز وجل، لأن الفعل الذي تنتفي فيه الحكمة و الغرض يعد سفها و عبثا و الله تعالى منزه عن العبث. نقل عنهم الشهرستاني قولهم:« قد قام الدليل على أن الرب تعالى حكيم والحكيم من تكون أفعاله على إحكام و اتقان، فلا يفعل فعلا جزافا، فإن وقع خيرا فخير وإن وقع شرا فشر بل لا بدّ وأن ينحو غرضا ويقصد صلاحا ويريد خيرا»[3]

و يزيد القاضي عبد الجبار المقالة توضيحا بقوله:« إن الله ابتدأ الخلق لعلة، نريد بذلك وجه الحكمة الذي له حسن منه الخلق، فيبطل على هذا الوجه قول من قال: إنه تعالى خلق الخلق لا لعلة، لما فيه من إيهام أنه خلقهم عبثا، لا لوجه تقتضيه الحكمة. و ذلك– أي نقص من يفعل لا لغرض– ظاهر في الشاهد لأن الواحد إذا أراد النيل من غيره قال عنه: إنه يفعل الأفعال لا لعلة و لا لمعنى. فيقوم هذا القول مقام أن يقال إنه يعبث في أفعاله، و إذا به في المدح يقول: إن فلانا يفعل أفعاله لعلة صحيحة و لمعنى حسن.»[4]

و خالفهم الأشاعرة الذين نفوا أن تكون أفعال الله تعالى معللة أو محكومة بالغرض لأنه «لو كان فعله تعالى لغرض لكان ناقصا لذاته مكتملا بتحصيل ذلك الغرض لأنه لا يصلح غرض للفاعل إلا ما هو أصلح له من عدمه، و هو معنى الكمال.»[5]، كما أن الأغراض و الخواطر إنما تجوز على ذي الحاجة و الذي يجلب بها منافع و يدفع أضرارا و ذلك لا يجوز في حق الله تعالى.[6] و قد عمل كل فريق على

---

[1]– التفتزاني ، شرح المقاصد، ج4، ص495.

[2]– التفتزاني، المرجع نفسه، ج4، ص 294.

[3]– محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، ط1، تح: أحمد فريدالمزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1425هـ، ص224.

[4]– القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل و التوحيد، [دط]، الدار المصرية للنشر، ج11، ض92–93.

[5]– الإيجي، المرجع السابق، ص331–332 .

[6]– أنظر محمد بن الطيب الباقلاني، كتاب التمهيد، تصحيح، ريتشر يوسف مكارثي، بيروت، المكتبة الشرقية، 1957، ص30–31.

نقض أدلة الفريق الآخر، و الاستدلال على رأيه بالبراهين العقلية و المنطقية و السمعية مما أثرى الموضوع ثراء معرفيا أثمر مسائل جديدة تفرعت عنه[1].

ثانيا: ما تعلق بأفعال العباد: المسألة الأخرى المهمة التي تفرعت عن دراسة الحسن و القبح عند المتكلمين، و شكلت بينهم جدلا معرفيا و عقديا كبيرا هي أفعال العباد هل هي مخلوقة لله تعالى و بالتالي فهم مجبرون عليها و هذا يؤدي إلى التساؤل على أي أساس يكون المدح و الذم؟ و كذلك هل للعقل أن يحكم بحسن الأفعال و قبحها أم أن ذلك متوقف على الشرع فقط؟

أما من جهة أفعال العباد هل هي مخلوقة لله تعالى، أم هي محدثة بأمرهم ، فالمعتزلة يرون أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، و أنهم هم المحدثون لها.[2] و استدلوا على ما ذهبوا إليه بـقولهم:« أن نفصل بين المحسن و المسيء، و بين حسن الوجه و قبيحه، فنحمد المحسن على إحسانه و نذم المسيء على إساءته و لا تجوز هذه الطريقة في حسن الوجه و قبحه، و لا في طول القامة و قصرها، حتى لا يحسن منا أن نقول للطويل لما طالت قامتك، و لا للقصير لما قصرت؟ كما يحسن أن نقول للظالم لما ظلمت؟ و للكاذب لما كذبت، فلولا أن أحدهما متعلق بنا و موجود من جهتنا بخلاف الآخر، و إلا لما وجب هذا الفصل، و لكان الحال في طول القامة و قصرها كالحال في الظلم و الكذب، و قد عرف فساده»[3]

و بطبيعة الحال الأشاعرة الذين يقولون بأن لا خالق إلا الله يرون أن أفعال العباد غير مخلوقة لهم فقد «اتفق سلف الأمة، قبل ظهور البدع و الأهواء و اضطراب الآراء على أن الخالق المبدع رب العالمين، و لا خالق سواه، و لا مخترع إلا هو..فالحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى، و لا فرق بين ما تعلقت قدرة العباد به، و بين ما تفرد الرب بالاقتدار عليه، و يخرج من مضمون هذا الأصل، أن كل مقدور لقادر، فالله تعالى قادر عليه و هو مخترعه و منشؤه»[4]

و أما ما يتعلق بحسن الفعل و قبحه من جهة الجبر و الاختيار يقول صاحب كتاب التلويح: « الجبر إفراط في تفويض الأمور إلى الله تعالى بحيث يصير العبد بمنزلة جماد لا إرادة له ،و لا اختيار ، و القدر تفريط في ذلك بحيث يصير العبد خالقا لأفعاله مستقلا في إيجاد الشرور و القبائح، و كلاهما باطل، و الحق أي الثابت في نفس الأمر، و إلحاق أي الوسط بين الإفراط و التفريط على ما أشار إليه بعض المحققين حيث قال: لا جبر و لا تفويض، و لكن امر بين أمرين...» [5]

---

[1]- أنظر ص18 منهذا البحث.

[2]- القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ، ط3، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، 1416هـ- 1996م، ص 323.

[3]-القاضي عبد الجبار، المرجع نفسه

[4]- الجويني، المرجع السابق، ص 187.

[5]- التفتزاني، التلويح ، ج2، ص331.أنظر أيضا القاضي عبد الجبار، المصدر السابق، ص

و أما من حيث تحسين العقل و تقبيحه لهذه الافعال، فقد كانت هذه الأخيرة من أهم المسائل من جهة تعلقها بأفعال المكلفين، و كان محل النزاع بين المعتزلة و الاشاعرة كامن في الثواب و العقاب و المدح و الذم أهو بالعقل أم بالشرع؟

يعود أصل هذه القضية و النزاع فيها بينهما إلى حقيقة الفعل، هل له صفة زائدة على حدوثه و صفة جنسه أم ليس له ذلك؟ أما **المعتزلة** و يمثلهم القاضي عبد الجبار فإنه يحدد أن الأفعال قسمان: قسم له صفة زائدة على حدوثه و صفة جنسه، و هو ما يدخل تحت حكم المدح أو الذم، إذ فاعله عالم به مختار له، و القسم الآخر ما ليس له صفة زائدة على حدوثه وصفة جنسه، كالحركة اليسيرة، و ذلك إنما يقع من الساهي، فهو ما كان فاعله غير قاصد له ، و لا مختار له ، فكان بذلك لا مدح عليه و لا ذم.[1].

بينما ذهب **الاشاعرة** عكس هذا الرأي فالفعل عندهم ليست فيه صفات ذاتية في نفسه أو جنسه، تجعله حسنا أو العكس تجعله قبيحا.

و بناء عليه يخلص كل منهما إلى تعريف يوافق مذهبه:

فالحُسْنُ عند المعتزلة: «هو فعل العالم بما يفعل، المميّز بينه و بين غيره، الذي ليس له ملجأ و له فعله، و هو ما كان لفاعله أن يفعله و لا يستحق عليه ذما»[2]،و القبيح:«هو ما إذا فعله القادر عليه استحق الذم على بعض الوجوه»[3]

أو كما يعرفه أبو الحسين البصري – و هو المعتزلي الثاني الذي اشتهر مع القاضي في هذه المسألة–:« الْحسن فَهُوَ مَا للقادر عَلَيْهِ المتمكن من الْعلم بِحَالهِ أَن يَفْعَله وَأَيْضًا مَا لم يكن على صفة يُؤثر فِي اسْتِحْقَاق فَاعله الذَّم. وَأما القبيح فهو: أَن يكون مِمَّا لَيْسَ للقادر عَلَيْهِ المتمكن من الْعلم بِهِ أَن يَفْعَله وَإِذا فعله كَانَ فعله لَهُ مؤثرا فِي اسْتِحْقَاق الذَّم فَيكون قبيحا»[4]

أما عند نظرائهم الأشاعرة «فالحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله، و القبيح ما ورد الشرع بذم فاعله»[5]. « و هذا مبني على أمرين ..أحدهما: أن حسن الفعل، و قبحه ليسا لذات الفعل، و لا لشيء من صفاته حتى يحكم العقل بأنه حسن أو قبيح بناء على تَحَقُّقِ ما به الحسن أو القبح، و ثانيهما: أن

---

[1]- القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص316.

[2]– القاضي عبد الجبار ، المرجع السابق، ص 326.

[3]–القاضي عبد الجبار، المصدر نفسه، ص41. و «و قوله بعض الوجوه احترازا من الصغيرة، فإنها قبيحة و مع ذلك فإنه لا يستحق الذم عليها» .

[4]– محمد بن علي الطيّب أبو الحسين البصري (436هـ)، المعتمد في أصول الفقه،ط1، تح: بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ، 335.

[5]– الجويني ، المرجع السابق، ص 258.

فعل العبد اضطراري لا اختيار له فيه، و العقل لا يحكم باستحقاقٍ في الثواب أو العقاب على ما لا اختيار للفاعل فيه»[1]

إذا فبينما ينفي الأشاعرة أن يكون للفعل صفة زائدة على حدوثه و صفة جسنه، فينفون بذلك أن يكون للعقل أي دور في التحسين و التقبيح و يرجعون الأمر إلى الشرع إثباتا و بيانا، وبناء عليه فلو عكس القضية، فحسن ما قبحه و قبح ما حسنه لم يكن ممتنعا و انقلب الأمر[2].فإننا نجد المعتزلة الذين يثبتون للفعل صفة زائدة على حدوثه و صفة جنسه، يضعون شروطَ الفعل الموصوف بالقبح من جهة فاعله؛ حيث وَصْفُ الفعل بالقبح يقتضي أن يكون الفاعل له قادرا عليه، غير عاجز و لا ملجأ ، و متمكنا من العلم بالمفسدة التي تدعو إلى ترك فعله، ،فيخرجون فعل المجنون، و الصبي و البهيمة الذين لا يقع الذم عليهم بفعل القبيح لعدم العلم به، و كذلك قولهم ليس للمتمكن منه أن يفعله أي أنه يدرك بالعقل قبحه أو صفاته التي يستحق التقبيح باعتبارها[3]. كما أن الحُسن يقتضي أن يكون فاعله قادرا عليه عالما بالمصلحة المتضمنة فيه.[4] فالقدرة على الفعل أو الترك ، و كذا العلم بوجود المصلحة أو المفسدة شرطان أساسيان عندهم للحكم على الفعل بالحسن أو بالقبح من جهة الفاعل.

و أما من جهة الفعل فقد بينوا أنه يحكم عليه بالقبح متى كان على صفة تؤثر في استحقاق فاعله الذم كوصفه بأنه معصية ، و أنه محظور و الحظر يفيد المنع، و أنه محرم، و أنه ذنب، و أنه مكروه، و أنه مزجور عنه[5] و بالمقابل فشرط الحسن أن تنتفي عنه الصفات التي تؤثر في استحقاق فاعله الذم. و نلاحظ أن هذه الأوصاف جميعا فِعْلُها يدرك قبحه عقلا عند المعتزلة و فاعله يستحق عليه الذم .

أما عند الأشاعرة فالعقل و إن كان له أن يدرك صفة الكمال أو صفة النقص في الفعل ، كما أنه يدرك ما في الأفعال من المصالح أو المفاسد لملاءمة الطبع أو منافرته، إلا أنه ليس له أن يمدح على الفعل أو يذم على الترك ما لم يرد أمر أو نهي من السمع ، و من ثم فليس له أن يمدح أو يذم قبل ورود السمع بذلك .

و الفعل سواء كان واجبا أو محظورا ليس يقتضي الوصف بذلك وجود صفة به مميزة للوجوب، أو أخرى مميّزة للحظر، إنما نفس الأمر أو النهي عنه هو المقصود بالتحسين و التقبيح.

---

[1]- التفتزاني، التلويح، ج1، ص332.

[2]- الإيجي، المرجع السابق، ص323.

[3]- الحسين البصري المرجع السابق، ج1، ص 336.

[4]- أنظر:القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة، ص 326/ 41، شمس الدين بن يوسف الجزري، معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، ط1، تح: شعبان محمد إسماعيل، القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية،1413هـ/1993م،ص57-58.

[5]- أنظر:الحسين البصري، المرجع السابق، ص 337.

و قد رد المعتزلة مقالتهم بالأدلة العقلية المختلفة ،و كذلك فعل خصومهم بإبطال ما ذهبوا إليه، و يظهر أن كل فريق أصاب جزء من الحقيقة و الصواب، إذ لا يمكن نفي تحسين العقل و تقبيحه للأفعال كما أثبت ذلك المعتزلة، بينما الحكم عليها بالثواب و العقاب العاجل و الآجل ليس من مهام العقل، بل الشرع وحده له الحكم بذلك باعتبار أن الله عز وجل أمر بأوامر و نهى عن نواه لحكمة يعلمها هو، و إن غاب عن العقل كثير منها و خاصة ما تعلق منها بالجزاء و العقاب الأخروي فهذا مما لا يقدر العقل بمفرده بعيدا عن الشرع أن يحكم به .

و هذا الرأي هو ما ذهب إليه ابن القيم في قوله: «فإذا كان الفعل مستلزما للكمال و النقصان، و استلزامه له عقلي، و الكمال و النقصان يستلزم الحب و البغض- الذي سميتموه ملاءمة و منافرة- و استلزامه عقلي- فبيان كون الفعل حسنا كاملا محبوبا مرضيا، و كونه قبيحا ناقصا مسخوطا مبغوظا أمر عقليّ- بقي حديث المدح و الذم و الثواب و العقاب- ...فأما المدح و الذم فترتبه على النقصان و الكمال عقلي، كترتب المسببات على أسبابها، فمدح العقلاء لِمُؤثر الكمال و المتصف به، و ذمُّهم لِمُؤثر النقص و المتصف به أمر عقلي فطري، و إنكاره يزاحم المكابرة. و أما العقاب؛ فقد قرَّرْنا أنّ ترتّبه على فعل القبيح مشروط بالسمع، و أنّه إنما انتفى عند انتفاء السمع المشروط لانتفاء شرطه، لا انتفاءه لانتفاء سببه؛ فإن سببه قائم، و مقتضيه موجود، إلا أنه لم يتم لتوقفه على شرطه»[1]

- إن مقصد دراسة الحسن و القبح عند المتكلمين كان درسا معرفيا ابستيمولوجيا، من حيث اهتمامهم ببيان أصل الأفعال و طبيعتها و حقيقة الحكم عليها بالحسن و القبح ، و ما تفرع عنها من مسائل فرعية[2] مثل هل يجب على الله تعالى الصلاح و الأصلح ؟

- هل يجب اللطف على الله تعالى عقلا أو لا ؟
- هل يجب على الله العوض على الآلام ؟
- هل يجب على الله تعالى الثواب على الطاعة ؟
- هل يجب على الله تعالى عقاب مرتكب الكبيرة إن لم يتب منها؟

سواء تعلقت بأفعال الله تعالى، أم تعلقت بأفعال العباد من حيث التكليف بها، هل تتصف بصفات ذاتية تقتضي إدراك العقل الحسن منها و القبيح، و بالتالي كون الأول يجعل صاحبه في حالة تعظيم يستحق فاعله عليه المدح و الثواب، بينما الثاني يجعل صاحبه في حالة اتضاع يستحق فاعله عليه الذم و العقاب، وهذه بدورها قد تفرع عنها مسائل فرعية مثل هل معرفة الله تعالى واجبة بالشرع أو بالعقل ؟

- هل يجب شكر المنعم عقلا أو شرعا ؟
- هل يجب على الله قبول التوبة من التائب ؟

[1]- ابن القيم الجوزية، ءالمرجع السابق، ج 2، ص 413.
[2]- أنظر: عايض بن عبد الله الشهراني، التحسين و التقبيح العقليان و أثرهما في مسائل أصول الفقه،ط1، السعودية، دار كنوز إشبيليا، 1429هـ-2008، ص 480.

- هل يجب على الله إرسال الرسل عقلا ؟
- هل تثبت رؤية الله يوم القيامة ؟
- هل يثبت عذاب القبر و سؤال الملكين ؟

- إن هذا الدرس المعرفي الذي انتهجه المتكلمون في مسألة الحسن و القبح رغم أنه كان استثمارا علميا دقيقا للآيات التي تناولت الموضوع في القرآن الكريم، حيث أصبحت هذه المسألة موضوعا معرفيا قائما بذاته في الدرس العقدي، و الذي توقف المتكلمون فيه عند البحث العلمي المعرفي دون تعديتهم لاستثمار ذلك البعد المعرفي في التركيز على البعد التربوي و الاجتماعي، رغم أنه خدم الجانب المعرفي و أكسب البحث الكلامي و العقدي و كذلك الأصولي ثراء علميا ومعرفيا، إلا أنه بالمقابل جنى على البعد العملي الذي هو المقصد الأساس من البحث الكلامي و العقدي الذي بينه العلماء عند تعريفهم بمقاصد علم العقائد أو علم الكلام كقول التفتزاني مثلا: « و غايته تحلية الإيمان بالايقان، و منفعته الفوز بنظام المعاش، و نجاة المعاد،...و غاية الكلام أن يصير الإيمان، و التصديق بالأحكام الشرعية متيقنا محكما، لا تزلزله شبه المبطلين، و منفعته في الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل، و المعاملة التي يحتاج إليها في بقاء النوع على وجه لا يؤدي إلى الفساد، و في الآخرة النجاة من العذاب المترتب على الكفر، و سوء الاعتقاد»[1]، إذ نجد هذا الطرح بقي موقوفا على فئة العلماء و مجادلاتهم و دفاعاتهم عن العقيدة و الإيمان ضد المطاعن و الشبه التي اجتاحتها، دون أن يكون للجانب الآخر الذي يركز على تقوية إيمان المؤمنين و تفعيله نفس الأهمية و هو ما حذا بابن خلدون و أمثاله للحكم بعدم الحاجة إلى علم الكلام في هذا العهد :«..و على الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم إذ الملحدة و المبتدعة قد انقرضوا و الأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا و دونوا و الأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا و نصروا، و أما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير إيهاماته و إطلاقه...»[2]

- و لذا نجد نوع من المفارقة بين مقصد الحسن و القبح في القرآن الكريم الذي كان يتوجه في غالبيته إلى أفعال الإنسان ليرسم لها مسار الفاعلية الإيجابية التي تبدأ بإيمان الفرد بأهمية تحسينها و إكسابها الذوق الجميل الذي يترجم عن إرادة الله عز وجل في بناء علاقات إنسانية راقية تتناسب و الغاية و الحكمة التي أوجد الله البشر لأجلها، و التي لا يمكن لها التحقق بشكلها الصحيح و الإنساني إلا في ظل ذلك التعارف و التعايش و التشابك بين الأفراد في المجتمع الواحد و بين المجتمعات المختلفة.

هذه الغاية التي يصعب استخلاصها من طرح مسألة التحسين و التقبيح عند المتكلمين لتركز الاهتمام فيها بأفعال الله بدلا من أفعال الإنسان، ما يجب عليه و ما لا يجب و ما يحسن منه و ما

[1]- سعد الدين التفتزاني، مقاصد العقائد، ط2، تح: عبد الرحمان عميرة، بيروت: عالم الكتب، 1419ه-1998م، ج1،ص 175.
[2]- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ،ص 203-204. (نسخة إلكترونية)

يقبح...، هذه الأخيرة و إن تناولها البحث إلا أنه تركز فيها حول جدلية العلاقة بين العقل و النقل،أي هل يكون التحسين و التقبيح بالعقل أو بالنقل، و هذا مجال معرفي علمي تأصيلي لمسألة التحسين و التقبيح، و ليس توجيهي و تربوي لذلك الإنسان كيف يفعل الحسن و يتجنب القبيح، أما فيم يخص أفعال الله تعالى فهو فضل عن أنه تحديف في مجال لا يمكن للعقل أن يذهب فيه بعيدا، فقد إنزلق به منزلقا خطيرا إذ أصبح يوجب على الله ما لم يوجبه على نفسه، و يحكم بقبح أفعاله لو أخل بما يجب عليه... ، فإنه يحيد بمقصد البحث العقدي عن مساره و مقصده في تعزيز الإيمان و تفعيله ليخرجه من الإطار النظري إلى الواقع العملي، حيث يغرس القيم و يضبط السلوك و يدفع الفعل إلى الإيجابية الخلاقة التي تحقق الخلافة المنشودة التي قال عنها الحق تبارك و تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات 13،﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة30،﴿.. هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..﴾ هود61.و هذا لا يتحقق إلا في مجتمع قائم على علاقات سوية تنسج تناسقه و تجعل له الأهلية الكافية للإنجاز و الفعالية.

قائمة المصادر و المراجع

- إبراهيم مصطفى و آخرون ، المعجم الوسيط،[دب]، دار الدعوة،[دت].
- أبو بكر بن العربي، عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، [دط]، بيروت: دار الكتب العلمية.
- أحمد الريسوني،نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي،ط4،الأردن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ-1995م.
- تقي الدين أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى،جمع عبد الرحمان بن محمد بن قاسم،[دط]، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، 1425هـ-2004م.
- عبد الجبار بن أحمد (القاضي)،شرح الأصول الخمسة، ط3، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، 1416هـ- 1996م.
- // ، المجموع في المحيط بالتكليف،جمع:أبي الحسن بن أحمد النجراني،[دط]،بيروت، المطبعة الكاثوليكية، [دت].
- // ، المغني في أبواب العدل و التوحيد،[دط]، الدار المصرية للنشر[دب].
- أبو حامد الغزالي،الاقتصاد في الاعتقاد،ط1،تح:إنصاف رمضان،بيروت:دار قتيبة،1423 هـ-2003 م.
- // ،المستصفى في علم أصول الفقه،تح:حمزة بن زهير حافظ،المدينة المنورة،شركة المدينة المنورة، [دت].

- عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير،ط2، جمع: محمد الصالح رمضان و توفيق محمد شاهين، تعليق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ- 2003 م.
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ، (نسخة إلكترونية).
- سعد بن أحمد اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية و صلتها بالأدلة الشرعية، ط1، السعودية،دار الهجرة، 1418هـ- 1998م.
- سعد الدين التفتزاني، شرح التلويح على التوضيح، [دط]، مصر، مكتبة صبيح، [دت].
- // ، مقاصد العقائد، ط2، تح: عبد الرحمان عميرة، بيروت: عالم الكتب، 1419هـ-1998م.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط17، بيروت/القاهرة، دار الشروق، 1412هـ.
- شمس الدين بن يوسف الجزري، معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، ط1، تح: شعبان محمد إسماعيل، القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية،1413هـ-1993م،.
- طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2000.
- عايض بن عبد الله الشهراني،التحسين و التقبيح العقليان وأثرهما في مسائل أصول الفقه،ط1،السعودية ، دار كنوز إشبيليا، 1429هـ-2008م.
- عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، [دط]، بيروت: عالم الكتب، [د م ن].
- علال الفاسي، مقاصد الشريعة و مكارمها، ط5، [دب]، دار الغرب الإسلامي،1991م.
- علي الجرجاني،كتاب التعريفات،ط1،تح:جماعة من العلماء، بيروت،دار الكتب العلمية،1403هـ-1983م.
- فخر الدين الرازي،المحصول في علم الأصول،[دط]،تح:طه جابر العلواني،[دب]،مؤسسة الرسالة، [دت].
- // ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط3، بيروت،دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
- أبو القاسم الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني،تح:محمد عبد العزيز بسيوني،ط1، مصر:كلية الآداب جامعة طنطا، 1420هـ- 1999م.
- ابن القيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة، ط1، السعودية،دار عفان، 1416هـ،1996م.
- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ط1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة [دب]، 1422هـ.
- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير و التنوير،[دط]،تونس، الدار التونسية للنشر،1984م.
- // ، مقاصد الشريعة، [دط]، تونس" الشركة التونسية للتوزيع، 1978.
- محمد بن الطيب الباقلاني، التقريب و الإرشاد الصغير، ط2، تح: عبد الحميد بن علي أبو زنيد، [دب]،مؤسسة الرسالة، 1418هـ -1998م.

- // ، كتاب التمهيد، تصحيح، ريتشر يوسف مكارثي، بيروت، المكتبة الشرقية، 1957.
- محمد علي التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون،ط1،تح:علي دحدوح، لبنان:مكتبة لبنان ناشرون، 1996.
- محمد بن علي الطيّب أبو الحسين البصري (436هـ)، المعتمد في أصول الفقه،ط1، تح: بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ.
- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، ط1، تح: أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1425هـ.
- محمد متولي الشعراوي، الخواطر(تفسير الشعراوي)،[دط]، [دب]، مطابع أخبار اليوم، 1997م.
- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط،تح:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة،[دت].
- محمود بن عمرو الزمخشري،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،ط3،بيروت:دار الكتاب العربي، 1407هـ.
- مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- أبو المعالي الجويني، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة و أصول الاعتقاد، تح: محمد يوسف موسى و علي عبد المنعم عبد الحميد، مصر: مكتبة الخانجي، 1369هـ - 1950م.
- ناصر الدين عبد الله البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1،ت: محمد عبد الرحمان المرعشلي، بيروت:دار إحياء التراث، 1418هـ.